كانت غير مؤهلة، إنما لا بد أن تمتلك الأهلية والكفاية للقيام بهذا المنصب واعبائه. فالفيصل هو الأهلية. وهناك بعض النساء قد تكون أكثر أهلية من الرجال. والقرآن ذكر لنا هذا فى قصة بلقيس ملكة سبأ التى كانت تملك أهل سبأ، إذ قادت أهلها إلى خيرى الدنيا والآخرة. فالرجال فوضوا لها الأمر: ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** ﴾. وفعلا كانت من الحكمة والكياسة والذكاء والبصيرة بحيث نظرت فى أمر سليمان واختبرته وتعرفت على أهدافه وحجم قوتها وقوته وانتهت بهم إلى أنها جنبت قومها حربا خاسرة وقادتهم إلى دين الله فربحوا الدنيا والآخرة معا.

فليست كل امرأة قاصرة، وليس كل رجل كامل ومؤهل، فهناك بعض النساء يفقن بعض الرجال وكما قال الشاعر قديما:

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

فإذا وجدنا المرأة الناضجة المؤهلة بكفايتها وعلمها وخبرتها وفراغها فلا مانع من أن توضع فى الموضع المناسب لها.

بناتى عالمات ذرة وفيزياء

الاختيار للأبناء

● بناتك يعملن فى مجالات تنكولوجية يتصورها البعض حكرا على الرجال فكيف وجهتهن هذا الاتجاه؟ ولماذا لم يدرسن المواد الدينية؟

– منهجى ألا أجبر أحدا من ابنائى أو بناتى على اتجاه معين، فأنا درست فى تخصص التدريس فى التربية والتعليم أنه من الأولى أن يوجه الأولاد لدراسة ما يميلون إليه حسب قدراتهم العقلية العامة، كالذكاء وقدارتهم الخاصة. رياضية أو علمية أم فنية أم لغوية. فحسب التوجهات والميول العلمية والمهنية، يتوجه كل إنسان أيضا. فأنا لم أفرض على أحد اتجاهه فعندما كانت ابنتاى – وهما بينهما فرق أقل من سنة واحدة – فى سنة دراسية واحدة، فأخذتا الثانوية فى سنة

واحدة، وعندما كانتا فى السنة الأولى الثانوية، قلت لهما ماذا تريدان فى السنة القادمة؟ فقالتا: ندرس فى القسم العلمى فقلت لهما: وما قولكما فى الدراسة بالقسم الأدبى؟ فقالتا لى يا أبت أن الادبى لا يدخله إلا البنات الكسلانات وهما من المتفوقات وكان من رأيهما أن القسم العلمى هو الأوفق لهما، فتركتهما فاختارتا ما تريدان فكل بناتى دخلن القسم العلمى، وتخرجت الأولى من قسم الفيزياء وتخرجت الثانية من قسم الكيمياء، وتخرجت الثالثة من قسم الحيوان والرابعة من قسم النبات، وكذلك اثنان من أبنائى الذكور دخلا القسم العلمى، وابنى الأوسط عبد الرحمن فقط هو الذى اتجه اتجاها أدبيا، فدخل المعهد الدينى، والتحق بكلية الشريعة ونجح بامتياز وعين معيدا ويدرس (ماجستير) فى الشريعة، وابنى الأكبر يدرس الدكتوراه فى الهندسة الميكانيكية. وكل هذه المجالات دخلها أولادى باختيارهم فابنتى الأولى كانت هاوية للفيزياء، ولها بعض أبحاثها المحدودة لأنها زوجة وأم لأربعة أطفال، وكانت فى منحة دراسية بعد مسابقة حصلت فيها على المركز الأول بجامعة لندن، منحها لها المجلس الثقافى البريطانى فى قطر.

● كيف توفق بناتك بين العمل فى هذه المجالات وبين رعاية أطفالهن؟

– هذا يحتاج إلى جهد جهيد، فكان الله فى عون المرأة التى تعمل وهى أم. وبالطبع ابنتى معها مربية تساعدها، لكنها تبذل الكثير من الجهد والعناية.

وكون المرأة توفق بين عملها وبيتها، فهذا أمر يحتاج إلى توفيق من الله عز وجل، لأنه لا بد للمجتمع من معلمات فى الجامعة مثلا، أو يفتح الله عليها بكشف جديد، وساعد على هذا أن قطر فيها فصل كامل بين تعليم البنات وتعليم البنين، حتى فى الجامعة البنات لهن مبنى خاص، والبنين كذلك، والحمد لله كل أزواج بناتى ملتزمون ومتعاونون، وكلهم على مستوى علمى راق فثلاثة منهم أطباء ومعهم الزمالة العلمية والرابع مهندس، وهم أبناء عائلات طيبة ويتعاونون مع زوجاتهم والحقيقة أنه من الواجب على الأزواج الذين تعمل زوجاتهم أن يكونوا متعاونين ومتفاهمين، خاصة عندما تكون الزوجة فى مجال علمى يحتاج إليه مجتمعها.

مع الشعر

أنا شاعر ولى ديوانان وأنفعل بالقصيدة الموزونة والمقفاة

● لا حظت شاعرية خاصة فى صياغة الكلمات خاصة فى كتبك وأرى شاعرا خلف هذا كله؟

– لى ديوانان شعريان، واعلم أن الشعر هو فى أساسه موهبة ولكن الموهبة إذا لم تنم يمكن أن تموت، ولذلك لا بد من أمـــرين: الفطرة الموهوبة، والدربة المكسوبة. وأنا بدأت حياتى شاعرا، فعندما كنت طالبا فى معهد طنطا الدينى الابتدائى والثانوى عرفت بالشعر أكثر مما عرفت بالدعوة، فإذا ذكر اسم القرضاوى يقولون: الشاعر.

وفى أواخر الدراسة الثانوية، ثم فى الكلية انشغلت بالدعوة عن الشعر ثم شغلنى العلم عن الشعر تماما، كما شغل الإمام الشافعى الفقه عن الشعر قديما، وكان يمتلك شاعرية عظيمة وقوية.

ومما قاله بعضهم فى التعريف بكتاباتى أنها تتميز بدقة الفقيه وحرارة الداعية، وإشراقة الأديب ونظرة المجدد، وأرجو أن يكون هذا صحيحا إن شاء الله وأرى أن التكوين الأدبى لا بد منه لأى داعية يريد أن يخاطب الناس بلسانهم أن يقنعهم ويستميلهم كى يفهموا الإسلام لأن الداعية الموفق هو الذى يقنع العقول ويحـــرك القلوب. وذلك لا يكون بالأسلوب العلمى الجـــاف، وإنما بالأسلوب العلمى الأدبى.

● هل ما زلت تكتب الشعر؟

– للأسف انقطعت عن كتابة الشعر، وقد ضاع الكثير من شعرى القديم وكان فيه غزل قائم على بعض التجارب العاطفية الشخصية لأن أصدقائى ونحن شباب قاموا بحرقه خوفا من ضبطهم متلبسين بالاحتفاظ به، أيام محنة الإخوان.

ولكن بقيت بعض القصائد أصدرتها فى ديوانين هما: نفحات ولفحات والمسلمون قادمون.

الأدب

● هل تقرأ الشعر والأدب؟

– نعم أقرأ الشعر والقصة والرواية، وقد قرأت كثيرا لنجيب محفوظ وقرأت أولاد حارتنا وفيها أشياء رمزية لا تقبل دلالاتها وأتصور أن نجيب محفوظ نفسه غير راض عنها، ولإحسان عبد القدوس، ونجيب الكيلانى، وقرأت لمحمد عبد القدوس الذى يهدينى بعض قصصه.

وأيضا قرأت بعض الشعر الحديث، خاصة أعمال نزار قبانى وسعاد الصباح وصلاح عبد الصبور.

التجديـــد

والحقيقة أننى من الجيل الذى يرى أن الشعر الحقيقى، وهو الملتزم بالوزن والقافية، ولكن لا مانع من التجديد، كما حدث فى الأندلس التى أبدعت الموشحات فالشعر الذى يلتزم بالوزن والتفعيلة ولا يلتزم بالقافية، شعر عربى وقد قرأت لشاعر مسلم اسمه عمر الأميرى قصائد اسمها خماسيات الأميرى لم يلتزم فيها بالقافية، ولكنها جميلة.

فيجوز للشاعر أن يتخلص من القافية على أن يكون هذا فى بعض الأحيان، أى يظل الأصل هو الشعر بوزنه وقافيته، فهذا هو الشعر الذى يحفظ، وإلا، فهل رأيت من يحفظون قصائد الشعر الحديث؟ فالشعراء أنفسهم أصحاب هذه القصائد يقرأون قصائدهم من أوراق لأنهم لا يستطيعون حفظها.

ولكن انظر إلى المعرى وامرئ القيس والشاعر العربى القديم وهو يقول:

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعـــل عفـاف وإقـدام وحـزم ونائل

أو: ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

أو: لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق علـــى جوانبه الدم

فلا توجد هذه الموسيقى والسلاسة فى الشعر الحديث، وهو ما يجعله صعبا فى الحفظ.

وهناك اعتراض آخر خاص بالمضمون، فقد لاحظت أن كثيرا من معانى الشعر الحديث، فيها خروج على القيم والعقائد والشرائع والتقاليد، فهو ليس ثورة على القافية أو الوزن، ولكنه ثورة على تراثنا كله من عقائد وقيم وأخلاقيات. وهذا هو الخطر.

ومع هذا فقد قرأت نماذج جيدة من هذا الشعر، ففى قطر قرأت ديوانا لشاب فلسطيني عنوانه «نداء الحق» وفيه قصيدة اسمها ركعتان يتحدث فيها أنه عندما تضيق به الحياة ويستبد به القلق وتغمره مشاعر الحزن واليأس، لا يجد بابا يطرقه إلا باب الله فقام وصلى ركعتين.

الشعر فى المعركة

فما أحوج شعراء الشعر الحديث إلى أن يطرقوا هذه الأبواب فبدلا من أن يتركز شعرهم فى المرأة واللذة والجنس، فمعظم شعر نزار قبانى يسير فى هذا الاتجاه، فله ديوان قرأته يتحدث فيه عن النهود وحلمه ثدى المرأة، وأشياء من هذا القبيل. لكن إذا توجه الشعر الحديث إلى تعبئة الأمة للثورة على الصهيونية وللوقوف فى وجه الغاصبين الذين يريدون أن تذهب القدس نهائيا، ويسعون إلى اغتصاب كل فلسطين وهدم المسجد الأقصى، فربما كتب له الخلود مثل قصائد الشعراء العظام.

انظر إلى نزار قبانى وهو يرثى بيروت ويرثى طه حسين وهو يمجد الانتفاضة ويقول: يا تلاميذ غزة علمونا أنها قصيدة رائعة ثم وهو يتحدث عن وفاء العرب، لم يجد إلا الوعاء العربى للشعر الأصيل وهو الوزن والقافية لكى يفجر قصيدته.

والحقيقة كنت أتمنى أن أجد وقتا لأقرأ الكثير من الأدب العالمى ولكن الواجبات لا تنتهى والأعباء تتزايد، لا طردا، ولكن عكسًا فالقوة تضعف والأعباء تتضاعف بحكم السن، كما قال الله تعالى ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً**﴾.

هذه سنة من سنن الله فأنا عندى مشروعات علمية أريد أن أتممها فى المرحلة الأخيرة من عمرى.

نحتاج إلى فهم فقه الموازنات

الفقـــــه :

* عنوان وحيوية الشيخ القرضاوى، قادتنى إلى مناطق ساخنة جدا، خشيت أن تلهينى عن الفقيه المفكر القرضاوى فسألته عن دعوته إلى فقه جديد؟

– فاكتسى الوجه النورانى رزانة المفكر وأجاب الدكتور القرضاوى:

– الفقه الذى أنادى به ليس الفقه الذى يدرس فى كليات الحقوق والشريعة، ويهتم بمعرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مثل أحكام العبادات والمعاملات وأحكام الطلاق والرضاع وغيرها، ولكنه الفقه بالمعنى القرآنى الذى يشتمل على ألوان من الفقه، ويشمل أول ما يشمل فقه آيات الله وسننه فى الكون والمجتمع والأسرة ، فعالمنا لا يمضى بذاته إنما يسير حسب قوانين ثابتة لا تتبدل ولا تحابى أحدا فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

وهناك أيضا فقه الموازنات بين الأمور وبعضها والموازنات بين المصالح وبين المفاسد أيضا بعضها، أيها نقدم وأيها نؤخر، وأيها أولى وأحق من الآخر. وهناك أيضا الموازنات بين المصالح والمفاسد، إذا تعارضت مع بعضها البعض، فهنا يقدم النافع منها كما قال الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾ وهذا الفقه له قواعده وأصوله، فلا يجوز أن يضحى بالمصلحة الكبيرة من أجل مفسدة صغيرة، ولا يجوز أن يضحى بالمصلحة الجوهرية من أجل مصلحة شكلية أو بالمصلحة الدائمة من أجل مصلحة عارضة.

الأولويات

أيضا أنبه إلى فقه الأولويات وهو فيه ترتيب على فقه الموازنات، ومعناه أن نفهم أى الأشياء أولى من غيرها فليست الأعمال والتكاليف في مرتبة واحدة، والشرع جعل لكل عمل مرتبته والدليل ما قال الله تعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ**

﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ كما جاء فى الحديث الشريف «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» فهناك أعمال عليا وأعمال دنيا ولا يجوز أن نقلب الوضع فنجعل الأعلى أدنى والأدنى أعلى وهناك فقه مقاصد الشريعة. فالشريعة لم تشرع حكما إلا وله مقصد أو هدف، حتى العبادات عللها القرآن الكريم فقال عن الصلاة. تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال عن الزكاة «تطهركم وتزكيهم بها» وفى الحج قال «ليشهدوا منافع لهم» وإذا كان الله ربط العبادات بأهداف فى الحياة، فقد ربط المعاملات والتشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها أيضا، بأهداف فى الحياة وللأسف فهناك أناس بيننا أسمتهم الظاهرية الجدد يقفون عند ظواهر النصوص القرآنية، ولا يتعمقون فى أسرارها ومقاصدها، ولذلك يقيمون معارك حول أمور لا معنى لها، ويهتمون بشكليات الدين أكثر مما يهتمون بجوهره. فالدين عندهم اللحية الطويلة والثوب القصير والسواك والجدل حول بعض الأشياء الصغيرة، فى حين يتركون القضايا الكبرى ولا يهتمون بها. وهذا خلل واضح فى فقه المقاصد وأيضا فى فقه الأولويات.

فقه الاختلاف

كما أن هناك فقها آخر هو فقه الاختلاف ولا بد أن نفقه هذا اللون من الفقه بأن نعرفه، ونعرف آدابه وحدوده، فلا يمكن أن يجتمع الناس على رأى واحد، والذين يعملون على صهر الناس فى رأى واحد، لا يزيدون الأمة إلا خلافا، كما أن الذين أرادوا إلغاء المذاهب كلها لم يبلغوا هدفهم، وإنما زادوا مذهبا جديدا، فالخلاف لا بد منه وهو رحمة وسعة وضرورة دينية ولغوية وبشرية وكونية.

هذا هو الفقه الذى أطالب به وأسعى إلى تأصيله فى موسوعتى الفقه الميسر. وأرى أنه لا بد أن نعطى أولوية للاجتهاد والتجديد على التكرار والتقليد. وإذا كان الجمود على ظواهر النصوص مذموما، كما هو شأن الظاهرية

القدامى والجدد، فأدخل منه فى الذم، الجمود على ما قاله السابقون دون مراعاة لتغير زماننا عن زمانهم ، وحاجتنا عن حاجاتهم ومعارفنا عن معارفهم وأحسب أنه لو تأخر بهم الزمن حتى رأوا ما رأينا وعاشوا ما عشنا – وهم أهل الاجتهاد والرأى – لغيروا كثيرا من فتاواهم واجتهاداتهم، كيف وقد غير أصحابهم من بعدهم كثيرا منها لاختلاف العصر والزمان على رغم قرب ما بين أولئك وهؤلاء؟ بل كيف وقد غير الأئمة أنفسهم كثيرا من أقوالهم فى حياتهم تبعا لتغير اجتهادهم بتأثير السنين والنضج أو الزمان أو المكان؟

إن هناك إناسا فى تراثنا كانوا يقولون: كل الأراء قابلة لأن تكون خطأ أو صوابا وهؤلاء الناس عرفوا فى تراثنا باسم المصوبة، وقد كانوا من كبار الفقهاء والأصوليين واعتبروا رأى كل مجتهد صوابا، ولم يخطئوا المجتهد، بل قالوا الصواب هو ما انتهى إليه المجتهد بعد أن استفرغ ما فى وسعه فى طلب الحقيقة. ولا بد أن يكون الإنسان منفتحا على غيره، متسامحا معه، مستعدا للتنازل عن رأيه إذا تبين له الحق، ويحاوره بالتى هى أحسن كما قال الله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾.

وأين هؤلاء المصوبة الآن فى زماننا المفعم بالمعلومات وبالتالى بالقدرة على الاجتهاد والاختلاف؟

غاب الفقه الذى كانت تنادى به المصوبة فغابوا هم معه أيضا، فعندما غاب هذا الفقه بأنواعه ساد الجهل والعناد والتعنت والتعصب. ولا بد أن نقاوم التعصب بالتسامح، والجهل بالعلم، والانغلاق بالانفتاح، والغباء بالوعى ولا بد أن نعمل على تكوين جيل جديد يحسن الفهم عن الله ورسوله، وإذا وجد هذا الجيل تغير كل هذا.

* * *

حوار لمجلة الهيئة الخيرية العالمية بالكويت

حاوره: يوسف عبد الرحمن

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى علم على رأسه نار، فقها وعلما ودراية وسياسة بالشرع والنقل والعقل، صاحب مدرسة فقه الواقع، وفقه الموازنات، وفقه الأوليات.

على الصعيد الخيرى، لا يشق للشيخ الدكتور القرضاوى غبار، ويكفيه أنه صاحب الصرخة الأولى التى تمخض عنها ولادة الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية فى الكويت لتكون مشعلا يهدى الفقارى وأصحاب الحاجة إلى سبيل التكسب الشريف فضلا عن كونها ملجأ إغاثة للملهوفين والمنكوبين فى العالم أجمع.

وللشيخ القرضاوى آراء فقهية - خاصة فى الفترة الأخيرة - تلقفها أصحاب الغايات البعيدة بكثير من الطنطنة والإثارة، مثل آرائه فى قضاية زواج المسيار وجواز تمثيل المرأة وتركيزه على فقه الواقع أو فقه الأوليات، مما استدعى الوقوف معه عند هذه المحطات لإجراء الحقيقة ومحو هذه الإثارة والطنطنة المغرضة.

الشيخ القرضاوى، صاحب المؤلفات التى تجاوز عددها الخمسين، والتى تلقى كتاباته قبولا واسعا فى أوساط العالم الإسلامى على مختلف أقطاره ودوله، خص «الخيرية» بسياحة فكرية فقهية ودعوية طالت كل القضايا التى تشغل المسلمين وغيرهم على الساحة.

بداية بفتاواه فى بعض القضايا المثيرة للجدل، إلى أدوار الوساطة التى اختص بها الشيخ القرضاوى بين الدول والمجموعات الإسلامية، إلى تبيان المنهج الفكرى والحركة، إلى بداية رحلته من مصر إلى قطر وما تلا ذلك من أحداث مرورا بتصديه للتوجهات العلمانية والليبرالية ... كانت محطات أساسية فى حوار موسع مع الشيخ القرضاوى، فإلى تفاصيل الحوار:

● قرأنا لك فتوى تجوز فيها قيام المرأة بالتمثيل وفق شروط ذكرتها فى ندوة العلاقة بين الفقه المعاصر والإعلام المتميز، فماذا عن هذه القضية الحساسة؟

– اشتراك المرأة فى التمثيل ضرورى لا بد منه، لأننا لا نستطيع أن نخرج المرأة من الحياة وأى عمل درامى هادف لا توجد فيه المرأة فهو عمل غير منطقى، ودليلنا على ذلك أن القصص القرآنية منذ آدم – عليه السلام – حتى الرسول الخاتم – عليه الصلاة والسلام – لم يهمل وجود المرأة فيه، حيث آدم وحواء، ونوح وامرأته، وكذلك لوط وزوجته، ثم الخليل إبراهيم وزوجته، ثم قصة ابنى آدم، وموسى وابنتى شعيب وحوارهما مع نبى الله موسى، ويوسف وامرأة العزيز وسورة كاملة تحكى تفاصيل قصة احتلت فيها المرأة دورا رئيسا، ثم سيدنا عيسى وقصة والدته مفصلة، وحتى قصة زيد بن ثابت وزينب بنت جحش، حيث ذكر القرآن فى هذه القصة كلها وفيها المرأة بدورها الحيوى، فكيف بنا نغلق الباب أمامها ونخرجها من الحياة؟

رغبة المرأة فى الاشتراك بالتمثيل إشكالية تحتاج للاجتهاد والتغلب عليها لإيجاد حل لها، وهذا الحل ليس بفقه «المنع» الذى لا يحل مشكلة رغم سهولته، وترديد الفتوى بأن ذلك حرام حرام فتبقى العقد كما هى، والنتيجة أن ينطلق الناس بدونها، وليس من الحكمة أن نغلق الأبواب فيدعنا الناس ونقف وحدنا، فلا بد من أن نتبنى فقه التيسير، وتعمل عقولنا فى فقه جديد نجتهد بعصرنا كما اجتهد فقهاؤنا القدامى فى عصرهم، ولو كان الأئمة المجتهدون يعيشون فى عصرنا اليوم لتعاملوا مع هذه القضية وغيرها بصورة مختلفة وفق هذه القواعد الفقهية بأن عموم البلوى من المخفضات، وأنه إذا ضاق الأمر اتسع، والمضايقات تجلب التيسير دون افتئات على محكمات النصوص.

● أتقصد هنا التمثيل الملتزم بضوابط الشرع فضيلة د. القرضاوى؟

– نعم ما المانع أن تدخل المرأة مجال التمثيل الجاد الملتزم بضوابط الشرع دون تبذل أو سفور، ويتعاون أهل الفقه وأهل الاختصاص للوصول إلى الهدف،

لأنه من غير المقبول إنشاء قصة خالية من المرأة، فهذا ضد الواقع، ولاشتراك المرأة فى التمثيل عدد من الضوابط كما أراها:

– أن يكون اشتراكها في التمثيل ضروريا.

– أن تظهر بلباس الإسلام ولا تضع المساحيق.

– أن يراعى المخرج والمصور عدم إبراز مفاتنها والتركيز عليها أثناء التصوير.

– أن تتفوه بالكلام الحسن وتبتعد عن الفاحش البذئ، وتبتعد عن مشاهد الانحراف والمجون فى أعمالها.

● وهل تقبل الفنانات فضيلة الشيخ بهذه الضوابط التى حددتها؟

– يوجد والحمد لله عدد من الفنانات الملتزمات بالإسلام يقبلن بهذه الشروط ويمكن التعاون معهن وقد التقيتهن ورحبن بذلك.

العراق والكويت

● خلال فترة الغزو العراقى على الكويت علمنا أن لك أحاديث قيلت فى بعض الإذاعات العربية منها مصر، وقطر وغيرها عن هذا الاعتداء الغاشم؟

– نعم لقد ذكرت أن اعتداء بلد عربى إسلامى على بلد آخر جار له لا يجوز شرعا، كما ذكرت أن الكويت التى نشأت فيها مؤسسات خيرية عدة امتد نشاطها لدول العالم الإسلامى للدفاع عن عقيدة الأمة ضد التنصير وقيامها بمشروعات عدة للتمكين لشعوب دول العالم الثالث والذى يدخل العالم الإسلامى فى دائرته وأنها استنفرت فى كثير من النوازل والكوارث لعدد من شعوب العالم الإسلامى فقدمت العديد من المساعدات لهذه الدول – اعتبرتها هدفا للقضاء على هذا التوجه الخيرى الموجه لصالح الدول الضعيفة من منطلق إسلامى، فكان هذا الاعتداء لإيقاف هذا المد للشعوب الإسلامية.

● وما رأيكم فى النظام القائم فى العراق؟

– إنه نظام دكتاتورى طاغ لا يرعى حقوق الجوار ولا حقوق النفس

الإنسانية ولا حق الكرامة الإنسانية، فقد أذل شعبه وبدد موارده وقتل آلاف الأنفس بغير حق وبغير محاكمة، ولا يأمن منه جار سواء فى الحرب الإيرانية أو عدوانه على الكويت الذى كان سيمتد على المنطقة الشرقية فى المملكة السعودية والإمارات بحيث يحاول السيطرة على مصادر النفط فى المنطقة، فطموحاته ليس لها حدود.

● لقد علمنا أنه فى أحد البرامج تدين العدوان الأمريكى على العراق؟

– الاعتداء على الشعب العراقى شئ والاعتداء على النظام الحاكم والعصبة الحاكمة شئ آخر، فمنذ أن تم حصار العراق فالذى يعانى من هذا الحصار هو الشعب العراقى والقيادة تعيش فى ترف ونعيم، وعند ضرب البنية التحتية لدولة العراق فالذى يعانى من نقص فى الخدمات كالكهرباء والماء والغذاء هو الشعب وليس النظام وتطالعنا الصحف أنه خلال فترة الحصار بنى حاكمها لنفسه ثمانين قصرا مليئة بالبذخ والترف والشعب يموت جوعا، كما أن هذه الضربات التى تقع علي عاتق الشعب يوظفها النظام بأنه المقصود من هذه الضربات هو قائدها البطل، وما دام قائدها حى يرزق ولم يتحقق مقصود الضربات فيعتبر الشعب قد انتصر ضد أمريكا مما يقتضى الاحتفال بميلاد البطل الصامد ضد العدوان، وهم لا يرغبون حقيقة فى إزالته عن الحكم لأن وجوده يعطيهم المبرر لوجودهم فى المنطقة وامتصاص خيراتها، ولو كانوا يرغبون فى إزالته عن الحكم لفعلوا ولكنهم يتذرعون أنهم لا يتدخلون فى الشئون الداخلية للدول وهذه مهمة الشعب العراقى (الأعزل) فى تغيير نظامه، هم يعلمون أن وجود النظام يسبب شرخا فى الصف العربى وعدم عودة العراق كشعب لهذا الصف حتى لا تحدث وحدة بين العرب تكون فى غير صالح إسرائيل.

● لا أحد فى العالم الإسلامى ينكر دورك المشرف يوم دعوت لنصرة المجاهدين الأفغان أثناء احتلال الاتحاد السوفيتى حينذاك أفغانستان، ولعبت دورا

طيبا فى الوسطات بين زعماء الجهاد لدرء الفتنة والاختلاف، ما موقف د. القرضاوى من كل ما يجرى فى أفغانستان اليوم؟

– نعم سعيت لنصرة الجهاد الأفغانى عندما دخلت القوات السوفياتية أراضى أفغانستان ولست نادما على هذا الموقف لأنه موقف حق ونصرة لإخوة لنا فى العقيدة احتلت بلدهم واستبيحت حرماتهم وانتهكت أعراضهم، وبعد التحرير سعيت أكثر من مرة إلى التوسط بين زعماء الأفغان، ولكن للأسف غلبت عليهم الأهواء للوساوس الخارجية، التى تحاول أن تفرق بين الأخ وأخيه، فانتهى الأمر إلى ما نراه اليوم، إنه واقع يندى له الجبين، وتدمع له العيون، ويتقطع له القلب، إن رفقاء الجهاد والسلاح بالأمس يتقاتلون اليون، الدولة التى كنا ننتظرها لتكون قرة أعيننا أصبحت تدمر أمام أعيننا، خذلونا هؤلاء الناس للأسف.

● أتشعر بالخطأ لمساعدتهم؟

– الواقع أننا لم نخطئ فى مساعدتهم، بل كنا على حق، لأننا ظننا بهم كان خيرا، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء، فهم كانوا على خير كثير، ولذلك نصرهم الله، فحينما صفت أنفسهم وصحت نياتهم، وصدقت عزائمهم، نصرهم الله على القوة الكبرى الثانية فى العالم، فلم يكسب الإلحاد فى تاريخ البشرية دولة فى ضخامة الاتحاد السوفيتى وقوته وغناه، انتصر هؤلاء الأفغان على الدولة الملحدة، ولما تغيروا غير الله ما بهم ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

● ورأيك فى طالبان؟

– ما تطرحه الطالبان باسم الشريعة نرفضه، فقد أوقفوا كل النساء العاملات وأبقوهم فى البيوت، وهناك مئات الآلاف من الأرامل اللائى فقدن أزواجهن، الذين استشهدوا فى الحرب، وكان هؤلاء النسوة يعملن من أجل أولادهن الأيتام، وبعضهن مثقفات، وبعضهن يحملن شهادات، فلا مانع أن تعمل المرأة فى رأيى، فعمل المرأة مشروع بل مطلوب طلب استحباب أو طلب

إيجاب حسب الحاجة، والقرآن ذكر لنا الفتاتين اللتين كانتا ترعيان الغنم فى قصة سيدنا موسى ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

والذى ندعو إليه هو أن نعود إلى نصوص القرآن والسنة فنحسن فهمهما وتوظيفهما، وبذلك تكون المرأة فى عصرنا كما كانت فى عصر الرسالة والنبوة والصحابة، عنصرا إيجابيا وعضوا حيا فى جسد المجتمع وليس رئة معطلة ولا عضوا مشلولا.

● كأنك تقصد فى هذا السياق من الإجابة العناصر المتشددة بخصوص عمل المرأة، ألا تخاف من هجومهم؟

– أنا لا أهتم كثيرا لهؤلاء، وعندما ذهبت إلى قطر منذ ٣٧ عاما وجدت هناك آثار معركة المتشددين والمتفتحين من المشايخ والعلماء البعض يقول: نعلم المرأة حتى الابتدائى فقط (أى القراءة والكتابة)، ويحرم عليها الإعدادى والثانوى والجامعة، والبعض يقول بحقها فى التعليم فى كل المراحل، وطبعا انتصر الرأى الذى يقول بحق المرأة فى التعليم، بل رأيت الذين كانوا ينادون بتعليم المرأة القراءة والكتابة فقط هم الذين ينادون بأن تفتح الأبواب للمرأة لتدخل الجامعة دون أى قيود أو ضوابط، فإذا بالمشايخ القدامى الذين كانوا يرفضون تعليم المرأة يقولون: لماذا هذه القيود؟ بناتنا يردن أن يتعلمن فى إشارة واضحة للضوابط التى وضعتها الجامعة لقبول المرأة وفق مجموع محدد.

إن التشدد ما زال هو السائد فى معاملة بعض المتدينين للمرأة، وهذا يشكل خطرا على مستقبل الحركة الإسلامية، فالمرأة نصف المجتمع من ناحية العدد، ولكنها أكثر من النصف إذا نظرنا إلى تأثيرها فى أبنائها وزوجها، ويمكن أن تكون عنصر بناء أو معول هدم، ومع ذلك فالأنثى فى ميدان الدعوة الإسلامية لم تأخذ حقها كما ينبغى، وفشل الإسلاميون فى إبراز قيادات نسائية إسلامية بينما نجح العلمانيون فى ذلك، فإذا كان البعض يأخذ على بعض النساء تبذلهن

وتحللهن من عقدة الفضائل والالتزام بالشرع فيجب أن نحارب هذا الجانب، إنما لا نتعداه إلى أن نحرم الحلال، بدعوى سد الذريعة لأن علماءنا من قديم حذروا من التوسع فى سد الذرائع، كما حذروا من التوسع فى فتح الذريعة لأننا إذا سددنا الذريعة، ستجد من يقول: لا تزرع العنب خشية أن يتخذ خمرا فهل هذا معقول؟ كما أن بعضهم من قال: لا نعلم المرأة حتى لا تكتب رسائل غرامية.

* تشكل فضيلة د. القرضاوى بفكرك الشمولى أنموذجا متفردا ومع هذا نرى اسمك مرتبطا بجماعات دينية تنظيمية، فهل أنت داعية منظم تمثل فكراً ومنهجا حركيًا إسلاميا؟

– نعم سئلت – أمنيا – عقب عودتى إلى مصر لقضاء الإجازة الصيفية عن علاقتى ببعض الجامعات والإخوان والمحاكم العسكرية، فقلت رأيى بصراحة، باعتبارى مصريا مسلما، أحرص على خير مصر وسلامتها واستقرارها، وأحرص على الإسلام فى مصر، وأرى أن مصر أرجى بلاد الله للإسلام، ولا يوجد بلد فيه من الاستعداد وبذل النفس والمال من أجل الإسلام كما يوجد فى مصر.

فأنا نشأت فى الإخوان، وآمنت بمدرسة حسن البنا ونهجه فى التفكير، وميله إلى الوسطية، وأنا منهجى بطبيعته منهج وسطى، ومن قرأ كتبى واستمع إلى محاضراتى وخطبى عرف أنى لا أعدل بالوسطية بديلا، منهجى فى الدعوة التبشير، وفى الفتوى التيسير، كما قال رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»، فأنا أيسر فى الفتوى وأبشر فى الدعوى».

● هل لك علاقة بالتنظيم العالمى للإخوان؟

– باعتبارى مصريا مسلما، فأنا أقولها بصراحة واضحة وصريحة: ليس لى أى علاقة تنظيمية من أى نوع، لا فى جماعة الإخوان، ولا فى مكتب الإرشاد، ولا مجلس شورى معين، ولا تنظيم دولى، ولا بنوك ولا غيره، كل ما فى الأمر إن فكرة الإخوان فكرة سليمة، خاصة إذا غلب فيها التطور على الجمود، والمرونة على التضييق، والإخوان فى السنوات الأخيرة تبنوا كثيرا مما كنت أنادى به، فقد

تبنوا فى المجال السياسى قضية التعددية الحزبية، وهذا على خلاف ما كان يدعو إليه حسن البنا، الذى كان ضد الأحزاب والحزبية، ولعله معذور فى ذلك الزمن، ولعله لو امتد به العمر لغير اجتهاده، فالرجل كان يتجدد ويتطور، كما أن الإخوان تبنوا فكرى حول المرأة عندما أصدروا بيانا اتجهوا فيه إلى نوع من التيسير والتوسعة.

فأنا، وإن كنت نشأت فى الإخوان ودخلت السجن من أجل الإخوان، أرى نفسى لكل المسلمين، وأحمل الجنسية القطرية، ولكنى أرى أنى لمصر ولقطر وللمسلمين وللعالم كافة، فطبيعة الإسلام أنه دين عالمى، وطبيعتنا من طبيعة الدين الذى ندعو إليه .

فقه جديد

● يكتبون ويقولون ويصرحون أنك صاحب فقه جديد فما هذا الفقه الذى تطرحه على الناس؟

– الفقه الذى أنادى به، ليس الفقه الذى يدرس فى كليات الحقوق والشريعة، ويهتم بمعرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مثل أحكام العبادات والمعاملات وأحكام الطلاق والرضاع وغيرها، ولكنه الفقه بالمعنى القرآنى الذى يشتمل على ألوان من الفقه، ويشمل أول ما يشمل فقه آيات الله وسنته فى الكون والمجتمع والأسرة، فعالمنا لا يمضى بذاته، إنما يسير حسب قوانين ثابتة لا تتبدل ولا تحابى أحدا، فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

● وماذا عن فقه الموازنات؟

– يقصد به الموازنات بين المصالح وبين المفاسد وأيضا بعضها وبعض، أيها تقدم، وأيها تؤخر، وأيها أولى وأحق من الأمر، وهناك أيضا الموازنات بين المصالح والمفاسد، وإذا تعارضت مع بعضها البعض، فهنا يقدم النافع منها كما قال الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**

﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، وهذا الفقه له قواعده وأصوله، فلا يجوز أن يضحى بالمصلحة الكبيرة من أجل مفسدة صغيرة، ولا يجوز أن يضحى بالمصلحة الجوهرية من أجل مصلحة شكلية، أو بالمصلحة الدائمة من أجل مصلحة عارضة.

● وما الفرق بين فقه الموازنات وفقه الأوليات؟

– الأوليات هو فقه يترتب على فقه الموازنات، ومعناه أن نفهم أى الأشياء أولى من غيرها، فليست الأعمال والتكاليف فى مرتبة واحدة، والشرع جعل لكل عمل مرتبته والدليل ما قاله الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾ كما جاء فى الحديث الشريف: «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» فهناك أعمال عليا وأعمال دنيا ولا يجوز أن نقلب الوضع فنجعل الأعلى أدنى والأدنى أعلى.

● وماذا يقصد بفقه الشريعة؟

– الشريعة لم تشرح حكما إلا وله مقصد أو هدف، حتى العبادات عللها القرآن الكريم، فقال عن الصلاة: تنهى عن الفحشاء والمنكر، وقال عن الزكاة «تطهرهم وتزكيهم بها» وفى الحج قال «ليشهدوا منافع لهم» وإذا كان الله ربط العبادات بأهداف فى الحياة فقد ربط المعاملات والتشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها أيضا، بأهداف فى الحياة، وللأسف فهناك أناس بيننا أسميتهم «الظاهرية الجدد» يقفون عند ظواهر النصوص القرآنية، ولا يتمعقون فى أسرارها ومقاصدها، ولذلك يقيمون معارك حول أمور لا معنى لها، ويهتمون بشكليات الدين أكثر مما يهتمون بجوهره، فالدين عندهم اللحية الطويلة والثوب القصير والسواك والجدل حول بعض الأشياء الصغيرة فى حين يتركون القضايا الكبرى ولا يهتمون بها، وهذا خلل واضح فى فقه المقاصد وأيضا فى فقه الأوليات.

● وهذا ما يجرنا إلى فقه الاختلاف فماذا عنه؟

– لا بد أن نعرف آداب وحدود هذا الفقه، فلا يمكن أن يجتمع الناس على رأى واحد، والذين يعملون على صهر الناس فى رأى واحد، لا يزيدون الأمة إلا اختلافا، كما أن الذين أرادوا إلقاء المذاهب كلها لم يبلغوا هدفهم وإنما زادوا مذهبا جديدا، الخلاف لا بد منه وهو رحمة واسعة، وضرورة دينية ولغوية وبشرية وكونية.

هذا هو الفقه الذى أطالب به وأسعى إلى تأصيله فى موسوعتى «الفقه الميسر»، وأرى أنه لا بد أن نعطى أولية للاجتهاد والتجديد على التكرار والتقليد، وإذا كان الجمود على ظواهر النصوص مذموما، كما هو شأن الظاهرية القدامى والجدد، فأشد منه فى الذم، الجمود على ما قاله السابقون دون مراعاة لتغير زماننا عن زمانهم، وحاجتنا عن حاجاتهم ومعارفنا عن معارفهم وأحسب أنه لو تأخر بهم الزمن حتى رأوا ما رأينا وعاشوا ما عشنا – وهم أهل الاجتهاد والرأى – لغيروا كثيرا من فتاواهم واجتهاداتهم، كيف وقد غير أصحابهم من بعدهم كثيرا منها لاختلاف العصر والزمان على رغم قرب ما بين أولئك وهؤلاء؟.

● بل كيف قد غير الأئمة أنفسهم كثيرا من أقوالهم فى حياتهم تبعا لتغير اجتهادهم بتأثير السنين أو النضج أو الزمان أو المكان؟

– إن هناك أناسا فى تراثنا كانوا يقولون: كل الآراء قابلة لأن تكون خطأ أو صوابا، وهؤلاء الناس عرفوا فى تراثنا باسم «المصوبة»، وقد كانوا من كبار الفقهاء الأصوليين، واعتبروا رأى كل مجتهد صوابا، ولم يخطئوا المجتهد، بل قالوا: الصواب هو ما انتهى إليه المجتهد بعد أن استفرغ ما فى وسعه فى طلب الحقيقة، ولا بد أن يكون الإنسان منفتحا على غيره، متسامحا معه، مستعدا للتنازل عن رأيه إذا تبين له الحق، ويحاوره بالتى هى أحسن كما قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾.

● ونحن نعيش فى تقدم التكنولوجيا وتفجر المعلومات أين دور هؤلاء «المصوبة» وقدرتهم على الاجتهاد والاختلاف؟

– غاب الفقه الذى كانت تنادى به «المصوبة» فغابوا هم معه أيضا، فعندما غاب هذا الفقه بأنواعه، وساد الجهل والعناد والتعنت والتعصب، ولابد أن نقاوم التعصب بالتسامح، والجهل بالعلم، والإنغلاق بالانفتاح، والغباء بالوعى والذكاء، ولابد أن نعمل على تكوين جيل جديد، يحسن الفهم عن الله ورسوله، وإذا وجد هذا الجيل تغير كل هذا، وأعتقد أن الصحوة الإسلامية فعلت فعلها، وأصبح هؤلاء الذين لا همَّ لهم إلا تخطئة الآخرين، واعتبار آرائهم هى الصواب المطلق والحق الصراح قلة، بينما تتسع دائرة الواعين بحقيقة دينهم وموقفه من قضية الخلاف.

وساطة

● قمت بعدة وساطات بين الإسلاميين والسلطة الفلسطينية التى يرأسها ياسر عرفات، ما حقيقة هذا الأمر؟

– أنا أسعى لأى إصلاح بين المسلمين، ولكن على أى أساس أتوسط بينهما؟ على أساس الرضوخ لإسرائيل؟! والاعتراف باغتصابها لأرضنا؟

إن هذا التهافت على أعتاب إسرائيل، وهذه المبادرات كلها لا فائدة منها، ولابد من عودة الانتفاضة سلطة وشعبا، لأن أقصى ما يمكن أن يكون بيننا وبين إسرائيل من سلام هو «الهدنة» هذا هو المسموح به شرعا مع المغتصب اليهودى أما التحالفات فكلها – فى رأيى – تمثل اختراقات لمجتمعاتنا التى تمثل الرصيد الحقيقى فى مقاومة إسرائيل، وأحب أن أشير هنا إلى موقف الشعب المصرى الأصيل، الواعى بأعدائه، الشعب الذى تمسك بالحاجز النفسى الذى سعى السادات لكى يحطمه، فلم يطبع مع إسرائيل، وهذا يدل على عمق إيمانه بهذه القضية ومعرفته بحقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل.

● ألا تتمنى الصلاة فى المسجد الأقصى؟

– أمنيتى الصلاة فى المسجد الأقصى غير أننى أؤكد أننى لن أذهب إلى الأقصى أبدا طالما بقى أسيرا بيد اليهود.

● أهذه فتوى بتحريم الذهاب إلى المسجد الأقصى ما دام واقعا تحت الاحتلال اليهودى؟

– نعم أنا أقولها كفتوى شرعية: لا يجوز لمسلم أن يذهب إلى المسجد الأقصى ليصلى فيه، إلا إذا كان من أبناء فلسطين، وعاد ليزور أهله، إنما لا يجوز لمصرى أو كويتى أو سورى أو خليجى أو مسلم أن يذهب ليصلى فى الأقصى وهو تحت أسنة الحراب ويرفرف عليه علم الاحتلال الإسرائيلى أو يدخل إسرائيل ويختم جوازه بختم دولة إسرائيل، فلا صلاة فى المسجد الأقصى إلا حينما يحرر من أسر اليهود، ومن أراد التقيد بالصلاة فى مساجد مفضلة، فليصلى فى مسجد رسول الله ﷺ، فالصلاة فيه بألف صلاة أو يصلى فى المسجد الحرام، فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة، أما الأقصى فلا يمكن الصلاة فيه لغير الفلسطينيين، طالما بقى أسيرا تحت سلطان الصهيونية.

إننا قد لا نسترد حقنا اليوم، ولا غدا، ولا بعد غد، إنما ينبغى ألا نستسلم، إنه موقف شرعى بألا نسلم لإسرائيل، ففلسطين ظلت محتلة نحو مائتى سنة أيام الصليبيين، وهيأ الله لها من استردها وحررها والأقصى ظل ٩٠ عاما أسيرا فى أيدى الصليبيين حتى حرره البطل صلاح الدين الأيوبى، فأنا أعتقد أن الزمان فى صالحنا نحن.

● وكأنك شيخنا تعنى الجهاد فى سبيل الله لتحريره؟

– لابد أن يكون ميراثنا للأجيال القادمة جهاد وكفاح، لا استسلام وتضييع للأراضى، فإسرائيل مصرة على أن تجعل القدس عاصمة لها، وتسعى إلى تهويدها وتفريغها من أهلها وكان لى قصيدة من ضمنها:

فما معنى فلسطين بلا أقصى ولا قدس

فلسطين بلا قدس كجثمان بلا رأس

ويجب على العرب أن يهيئوا أنفسهم لجهاد طويل لتحرير القدس واسترداد فلسطين، فإسرائيل لن تسلم بحقنا فيها أبدا وأنا عندى رسالة فى المطبعة حاليا سميتها «القدس قضية كل مسلم» أنادى فيها العرب عامة والمسلمين كافة أن يهبوا لنجدة القدس وأن تعود الانتفاضة المباركة من جديد إلى أرض الأقصى السليب.

موقفى من صلح اليهود

● يستشهد بعض من المسلمين بالآية ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾، عرفت بالواقعية، وأحوال الأمة الإسلامية تراها أمامك.. ألا تعتبر هذه الآية متنفسا لعقد صلح مع اليهود، ما رأيك فضيلة الشيخ؟

– إسرائيل لم تجنح للسلم يوما ما، فكيف يجنح للسلم من اغتصب الأرض وسفك الدماء وشرد أهلها وانتهك حرماتها، إن الآية الشريفة التى ينبغى أن نحتج بها هنا قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ لكننا استبطأنا النصر، وذهبنا للحصول على بعض المكاسب بالطريق السريع لا كل المكاسب بالطريق البعيد، فنحن نملك الكثير، ولكننا استعدنا أنفسنا، كان لابد أن نصبر ونصابر ونرابط كما أمرنا الله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا** ﴾.

على كل حال، هذه اجتهادات من أصحابها ندفع ثمنها ضعفا فى الموقف العربى، وقد انتهى الأمر إلى قبول العرب لسلام أقل كثيرا مما عرضه عليهم السادات.

● لماذا تصر على الدوام على ارتداء الزى الأزهرى؟

– هذا الزى عرف به العلماء، فهو يعبر عن الشخصية الأزهرية وحتى عندما ذهبت إلى قطر فى الخليج، وقدمت برنامجين تلفزيونيين فى تلفزيون قطر

وقناة الجزيرة الفضائية هما: (هدى الإسلام – والشريعة والحياة) تمسكت بهذا الزى، وأرى أن شيوخ الأزهر ينبغى أن يحتفظوا بهذا الزى، وينبغى أن يحتفظوا باللحية والعمامة، إحياء لهذه السنة، وأذكر أن الإمام الندوى، وهو عالم هندى، عندما جاء إلى مصر وسأله الشيخ أحمد حسن الشرباصى عن أعجب ما رآه فقال هذا العالم الهندى: «أكثر ما أدهشنى هو أن علماء الأزهر حليقو اللحية!».

مع السادات

● ما قصة أول لقاء مع الرئيس محمد أنور السادات؟

– الحقيقة لم تتح لى الفرصة لكى ألتقى بالرئيس السادات لأتحدث معه على إثر عودتى إلى مصر إلا مرة واحدة، عندما ذهبنا إليه فى القناطر الخيرية ضمن مجموعة من علماء الإسلام وتحدثنا حديثا طويلا عاما.

وأستطيع أن أقول كمراقب من بعيد حيث لم أكن مقيما فى مصر وقتها إن أفضل ما جاء به السادات، هو فتح الأبواب للناس ليتحرروا ويتنفسوا ويتحركوا، فقد أفرج عن المعتقلين وأغلق أبواب المعتقلات السياسية، وأعلن أن القانون سيسود، وخاض حرب العاشر من رمضان وانتصرت مصر فكان السادات موضع الحب والإعجاب من الناس كافة، ثم تغيرت الأمور وظهر سادات آخر، وأقول إننا المسؤولون عن هذا: الصحافة والشعب والناس، يضخمون الحكام، ويسرفون فى مدحهم، وينافقونهم بالكثير من الكلام، فيتحول الحاكم إلى فرعون، فالإنسان يبدأ طيبا وقريبا إلى الخير والصلاح، ثم بهذه الطريقة التى نكاد نقدس فيها الحكام ونحول كل أعماله إلى بطولات، وننزهه عن الخطأ تماما، فيعمى عن أخطائه، ويرفض النقد تماما.. إن الحديث الشريف يقول: «إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم: ياظالم فقد تُودع منها» أى لا رجاء منها، فالمفروض أنه إذا أخطأ إنسان أو انحرف ننبهه وننقده، فكيف إذا كانت الأمة تقول للمخطىء أنت على صواب دائما، وتقول للمنحرف أنت مستقيم دائما، وتقول للظالم أنت المحرر والمنقذ؟!.. نحن الذين نصنع الفراعنة.

● كيف خرجت من مصر إلى دولة قطر، ولم طالت مدة مكوثك؟

– أود أن أقول إننى حينما خرجت من مصر العزيزة سنة ١٩٦١م معارا إلى دولة قطر، ومديرا لمعهدها الدينى، ما كان يخطر ببالى أن يطول المقام فى ذلك البلد العربى الشقيق، فقد كان من المفروض أن تطول الإعارة ٤ سنوات، وقد تمتد سنة أو أكثر ثم أعود إلى وطنى، ولكن جرت الأقدار فى ذلك الوقت بغير ذلك، فبعد ٤ سنوات تغير الوضع، وبدأت محنة أخرى للإسلاميين، فحذرت من العودة إلى مصر، وكان ما اختاره الله، فالإنسان لا يتمنى البلاء، ولكن يسأل الله العافية.

وعدت إلى مصر في العام ١٩٦٣م لقضاء الإجازة الصيفية، وبمجرد وصولى إلى قريتى، أخذت من هناك إلى مكان لا يعلمه إلا الله، ومكثت فيه ٥٠ يوما أنا وزميلى د. أحمد العسال، وكانت الحكاية أن د. عبد العزيز كامل رحمه الله وعبد العزيز الشوربجى نقيب المحامين ود. حسن عباس زكى وآخرين كان لهم اتجاه دينى، وقيل إنهم يخططون لانقلاب، ولهم ممولون من الخليج العربى، وأنا أحدهم، لكن أفرج عنا، واعتذر لنا صلاح نصر، وقال: إن القبض علينا تم فى غيبته وطلب أن نفتح صفحة جديدة، وأن ننسى هذا الموقف، وسمح لنا بالعودة إلى دولة قطر مرة أخرى، فسافرت ولم أعد إلى مصر إلا عام ١٩٧٣، عدت فوجدت الوضع قد تغير من الاشتراكية الثورية التى كانت تقبض على مصر بقبضة من حديد، عن طريق السجون والمعتقلات والمخابرات وأمن الدولة إلى انفراج وانفتاح، ليس فى الأمور الاقتصادية فحسب، ولكن انفراجة أمنية وسياسية، فدخلت مصر وفوجئت بأنه لم يسألنى أحد: «لماذا عدت أو لماذا تأخرت فى الخليج؟!»، ولم يستدعنى رجال الأمن كما كان أو نحو ذلك، فكان هذا فى رأيى من علامات الصحة فى ذلك الوقت وشعرت أن الناس فى مصر تنفسوا الصعداء.

● أتقصد أنك عدت فى زمن الانفتاح على وجه التحديد؟

– قبل أن أعود إلى قطر، فوجئت بالانفتاح يفتح الأبواب على مصاريعها،

ورأيت الباشوات الجدد يحلون محل الباشوات القدامى دون أن يكون لهم أية صلة بهم، فالباشوات القدامى كان يستفيد من ورائهم أناس كثيرون، لأنهم كانوا يفتحون أبوابا لمن حولهم، وكان عندهم المروءة والمكارم، أما الجدد فكانوا باشوات لأنفسهم، لا يستفيد من ورائهم أحد، ويغلقون الأبواب المفتوحة، ومن هنا استشعرت الخطر وبدأت أفكر فى موقف الإسلام: فأين نحن من هذا؟

● وإلى ماذا توصلت فضيلة الشيخ د. القرضاوى؟

– توصلت إلى أن الإسلام له فلسفته الخاصة فى الاقتصاد، هى ليست الفلسفة الفردية المطلقة التى تقوم عليها الرأسمالية، ولا الفلسفة الجماعية المطلقة التى تقوم عليها الماركسية والشيوعية، إنما للإسلام فلسفته المتوازنة التى تعطى الفرد وتأخذ منه، ولا تضخم الفرد حتى يطغى، ولا تعطى المجتمع الحق فى أن يسحق الفرد، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾ أى لا طغيان ولا إخسار، لا إفراط ولا تفريط، فالموازنة بين الحقوق والواجبات، بين الحرية والعدل، فالحرية موجودة ولكنها مقيدة بالعدل، هناك حرية للسوق، ولكن ليس مفتوحا للتلاعب بالأسعار والاحتكار أو التجارة بأقوات الناس وضرورياتهم، وإنما هناك ضوابط ومعايير أخلاقية وتشريعية تضبط هذه الأمور.

العلمـــانية

● كثر الحديث فى الإعلام المقروء والمشاهد والمسموع عن لفظ العلمانية ومعاداتها للتيار الإسلامى، وحوارنا معك فى القضية الحساسة يبدأ من «تعريف العلمانية» فما هو مفهومها؟

– العلمانية كلمة حديثة الاستعمال فى لغتنا العربية، والعلمانى ما ليس بدينى ومقابله الدينى أو الكهنوتى، وكان مدلول العلمانية المتفق عليه يعنى: عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع، وهذا المعنى غير معروف فى تراثنا الإسلامى ولم يكن فى الإسلام كما فى عصورنا الأخيرة إلى اليوم تعليم دينى وتعليم غير دينى، ولم يكن في الإسلام أناس يسمون رجال الدين، وآخرون يسمون رجال

العلم أو السياسة، ولم يعرف الإسلام سلطتين إحداهما دينية والأخرى زمنية أو دنيوية، لقد كان الدين ممتزجا بالحياة كلها امتزاج الروح بالجسم، كذلك كان الدين والعلم، فالعلمانية بضاعة غريبة علينا لم تنبت فى أرضنا، ولا تستقيم مع عقائدنا ومسلماتنا الفكرية.

● ما هى نقاط الخلاف بين الإسلام والعلمانية؟

– العلمانية لا تقف من الإسلام موقفا محايدا كما زعم بعض العلمانيين الهرب فهذا بالنسبة للإسلام يستحيل، لأن الإسلام يواجهها بشموله بكل جوانب الحياة الإنسانية مادية ومعنوية، فردية واجتماعية وهى لا تسلم له بهذا الشمول فلا مفر من الصدام بينهما، فالنصرانية قد تقبل قسمة الحياة والإنسان شطرين: شطر للدين، وشطر للدولة، أو بتعبير «الإنجيل» شطر لله وشطر لقيصر، فتعطى ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، أما الإسلام فيرى الحياة وحدة لا تتجزأ، ويرى الإنسان كيانا واحدا لا ينفصم، ويرى أن الله هو رب الحياة كلها، ورب الإنسان كله، فلا يقبل قيصر شريكا لله، فلله ما فى السموات وما فى الأرض، ومن فى السموات ومن فى الأرض وقيصر وما لقيصر كله لله، فلا يجوز أن يستولى على جزء من الحياة ويوجهها بعيدا عن هدى الله.. إن الإسلام يرفض إلا أن يوجه الحياة كلها بأحكامه ووصاياه، وأن يصبغها بصبغته وهى صبغة الله «ومن أحسن من الله صبغة».

● هل من إمكان لتعايش الإسلام مع العلمانية فى ضوء نظرة التشكيك العقدية من جانب العلمانية للشريعة الإسلامية؟

– العلمانية لا تجحد الجانب العقدى فى الإسلام، ولا تنكر على الناس أن يؤمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر انطلاقا من مبدأ مسلم به عندها وهو تقرير «الحرية الدينية» لكل إنسان، فهذا حق من حقوقه أقرته المراثيق الدولية، ولكن الإسلام فى داره «دار الإسلام» لا يكتفى بأن تكون عقيدته مجرد شىء مسموح به وليس محظورا كالمخدرات والسموم البيضاء.. إنه يريد أن تكون عقيدته روح الحياة وجوهر الوجود، فالعقيدة الإسلامية تفرض على المسلم أن يكيف حياته

وفقا للأحكام التى تجسدها وأن يظهر أثرها فى سلوكه وعلاقاتها كلها سواء كان حاكما أو مملوكا، والعلمانية تريد من العقيدة أن تظل حبيسة الضمير لا تخوض معترك الحياة ولا تؤثر فى أهدافها ومناهجها فإن سمح لها بالظهور فليكن بين جدران المسجد لا تخرج عنها على أن يكون المسجد تفسه تحت سلطانها وبهذا نرى المسلم الذى يعيش تحت سلطان العلمانية يعانى من التناقض بين العقيدة التي يؤمن بها والواقع الذى يفرض عليه، فعقيدته تشرق وواقعه يغرب، عقيدته تحرم والعلمانية تبيح، عقيدته تلزم والعلمانية تعارض، وهكذا لا تعايش بين الإسلام والعلمانية.

● أنفهم منك د. يوسف القرضاوى أن العلمانية مناقضة للشريعة وأنها أصلح للغرب منها فى البلاد الإسلامية؟

– لا يتصور للعلمانية أن تنجح فى بلد إسلامى لأنها مناقضة لطبيعة الإسلام الذى تدين به الشعوب المسلمة ومناقضة لمفاهيمه وسلوكه وتاريخه ولا يوجد أى مبرر لقيامها، كما وجد ذلك فى الغرب النصرانى، وكل ما تفعله العلمانية أنها تحاول تغيير طبيعة الأمة واتجاهها، والأمة لا تستجيب لها حيث ترفض زرع هذا الاسم الغريب فى داخلها وتقاوم بشدة، فينشأ بين الحكم العلمانى وبين الأمة المسلمة صراع يظهر حينا ويختفى أحيانا ولكنه صراع باق ومستمر وأبرز بلد إسلامى حكمته العلمانية ونفذت خططها وضربت بيد من حديد كل من يقاومها هو تركيا، بلد الخلافة الإسلامية الأخيرة الذى قهره «أتاتورك» فى تطبيق النموذج الغربى فى الحياة كلها، وسلخه من تراثه وقيمه وتقاليده وأقام دستورا لا دينيا يعزل الدين عن الحياة، فقامت على أساسه قوانين مجافية للإسلام.

● وهل هناك فارق من وجهة نظرك بين العلمانية والأخلاق؟

– العلمانية لا اعتراض لها على الجانب الأخلاقى فى الإسلام بل ترحب وتدعو إليه باعتبار أن الأخلاق هى قوام المجتمعات وعماد النهضات، وأن الإنسان تبنيه الأخلاق والفضائل الإنسانية الرفيعة، وهذا لا خلاف فيه بين الإسلام والعلمانية ولكن فى مجال العلاقة بين الجنسين، يصر الإسلام على أن يكون الزواج المشروع هو الطريق الصحيح ويحرم أى اتصال جنسى خارجه، ويعتبره من

الزنى الذى يجلب سخط الله تعالى ويشيع الانحلال والفساد فى المجتمع ﴿ **ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ كما حرم الإسلام خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه وحرم كل الوسائل التى تيسر وقوع الفاحشة، وهذه الأحكام والتوجيهات الإسلامية لا ترحب بها العلمانية المستعربة على أن هذا يدخل فى نطاق الحرية الشخصية، وتنظر إلى الإسلام على أنه تزمت، كما أنهم لا يحبون أن يربطوا الأخلاق بالدين وإنما يريدون أن يقيموها على أساس فلسفى أو عملى بعيدا عن الدين.

السلطة وحماس

● ما رأيكم بممارسات السلطة الفلسطينية التى يرأسها ياسر عرفات ضد شباب حماس.. ما هو تعليقكم؟

– أدعو الفلسطينيين أن يكونوا يدا واحدة، وأنا أعلم من الإخوة فى حماس أنهم حريصون على وحدة الصف أشد الحرص، ولم يحدث فى تاريخهم أن أيديهم امتدت لقتل أى فلسطينى، وإنما كل عملهم ضد إسرائيل وفى الأراضى الفلسطينية المحتلة، إنهم يرفضون توجيه السلام ضد اليهود في خارج الأرض المحتلة، لقد حددوا هدفهم ضد عدو واحد هو إسرائيل المغتصبة لأرضهم.

وأنا شخصيا أعجب أشد العجب من موقف السلطة الفلسطينية تجاه الإخوة فى حركة حماس، وما تردده من ادعاءات بأن أتباع حماس يقتلون بعضهم بعضا، وأن الاعتداءات التى تمت على بعض من عناصرهم من تدبير زملائهم فى حماس.

أنا أعتقد شخصيا أن المستفيد من هذه الخلافات بين السلطة وحركة حماس هى إسرائيل، وأرجو من الإخوة فى السلطة وحماس أن يراجعوا أنفسهم وأن يتدخل العقلاء لإيقاف المأساة، وأسأل الله أن يجمعهم على ما فيه خير دينهم ووطنهم.

* * *